المبحث الأول

توطن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب قرية ينبع واتخاذه الأموال فيها

لم يكن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ من تجار قريش المشهورين، الذين يقطعون القفار والأودية والمفاوز، شمالاً وجنوباً في رحلتي الشتاء والصيف في العصر الجاهلي، فمن خلال رحلتهم تلك عرفوا كل القرى التي مروا بها مراراً وتكراراً، وذلك لصغر سنه، أما والده وأعمامه فقد شاركوا زعماء قريش في هذه الرحلات التجارية طيلة تلك الأعوام قبل الإسلام وبعد ظهوره.

ولعل أول مرة وطئت فيها قدم الخليفة الراشد قرية ينبع، كانت في غزوة العشيرة، وهي إحدى قرى ينبع المشهورة في ذلك العصر، فقد غزى النبي ﷺ ينبع في الغزوة المسماة عند أهل السير "بذات العشيرة" وهي موضع لبني ضمرة من بني مدلج في جمادى الآخرة، وقيل: الأولى في السنة الثانية من الهجرة، في خمسمائه، وقيل: مائتي رجل "لاعتراض عيراً لقريش، ففاتته العِير ولم يليق كيداً، وبعدها وادع بني مدلج، ثم عاد إلى المدينة، ذكر لنا الإمام أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (٢/٨٥٥)، أنه خلال هذه الفترة، وعند نزول النبي ﷺ بذات العشيرة، وكان الجو حاراً، وقد لقوا في هذه الغزوة شدة وعنتاً، فعندما حلوا في تلك الديار، تفرق الصحابة في شجر القرية، للاستراحة، ومنهم علياً بن أبي طالب ﷺ فذهب علي بن أبي طالب إلى

شجرة نخل هنالك، وعندما افتقده النبي ﷺ ذهب يبحث عنه، فوجده نائماً تحت شجرة النخل، وقد علق التراب ببدنه، فقال له: قم أبا تراب، وهذا يدل على أن قرية العشيرة كانت أرضاً عامرة، ذات عيون كثيرة، عامرة بالزراعة، وهذا ما لفت انتباه الخليفة الراشد، ودعاه أعجابه بها إلى التفكير في التملك بها منذ تلك الواقعة.

فقد حكى ابن شبه أن علياً ابن أبي طالب عندما رأى ينبعاً لأول مرة قال: "لقد وضعت على نقيّ من الماء عظيم"[1].

وحكى ابن شبه ما نصه: "أن النبي ﷺ أقطع علياً بذي العشيرة من ينبع..." حكى ذلك في أكثر من موضع من كتابه، وعنه نقل كل من جاء بعده كياقوت والسمهودي، والمجد وغيرهم كثير.

وحكى البلاذري ويحيى بن آدم والخصاف وابن شبه وغيرهم: أن علياً بعد ذلك سأل عمر بن الخطاب أيام خلافته أن يقطعه ينبعاً فأقطعه. ثم أضاف إليها علي بعض العيون عن طريق الشراء والإحياء وغير ذلك.

وقد ذكر الإمام ابن شبه قصة تملك الإمام علي لأراضيه في ينبع، فقال[2]: "أن النبي ﷺ أقطع ينبع لكشد الجهني، وكان رجلاً كبيرا في السن فأعطاها ابن أخيه، ثم إن ابن أخيه باعها لعبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري، وعمل فيها، ثم أبغضها وتركها وكر راجعاً إلى المدينة المنورة، وفي أثناء الطريق في موضع قرية حوره لقي علياً بن أبي طالب، فسأله من أين

(١) أخبار المدينة (١/١٣٧).

(٢) أخبار المدينة (١/١٣٦).

جئت؟، فأخبره الخبر، فلما علم علي بخبره وبغضه لتلك القرية ومزارعها، سأله علي بن أبي طالب أن يبيعه تلك الأرض بالثمن الذي دفعه للجهني وقدره (٣٠) ألف درهم، فاشتراها علي بن أبي طالب، ونقده الثمن، فخرج إلى تلك المواضع وأول عين أجراها هي "عين البغيبغات"، ثم توسع الخليفة الراشد في شراء الأموال فأضاف إلى ما أقطعه النبي ﷺ وعمر بن الخطاب عيوناً كثيرة، كعين (أبي نيزر وغيرها)، وسأذكر أسماء تلك العيون عند ذكر أماكن أوقافه.

فكان الخليفة الراشد علياً يتوطن مدينة ينبع بعد وفاة النبي ﷺ وفي خلافة أبي بكر وعمر، وأكثر من الإقامة فيها في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، فقد ذكر علماء السير أن عثمان بن عفان كتب إلى علي بن أبي طالب أيام محاصرته من البغاة ليقدم إلى المدينة المنورة فقدم إليها لنصرة عثمان ﷺ.

بل استمر هذا الترد إلى ينبع حتى أبان خلافته رغم ما كان في خلافته من الحوادث الجسام، فقد كانت أوقافه من أهم اهتماماته، فقد ذكر المبرد عند ذكره لوقفية عين أبي نيزر: "أنها كانت لسنتين من خلافته"، فهذا دليل على تفقده لأمواله رغم انشغاله في الحرب مع أهل الشام أبان خلافته، واستمر على ذلك إلى وفاته.

وبعد هذه الواقعة اتبع القول بالفعل وعندما وآتته أول فرصة اهتبلها، فقد قال الإمام ابن شبه عن أول شيء عمله الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في ينبع هو: حفر عين البغيبغة، وأنه عندما ظهرت وبشربها، قال: "تسر الوارث".

وقد حكى لنا ابن شبه أن الإمام علياً بن أبي طالب ﷺ كان معجباً في ينبع غاية الإعجاب، لذا عندما عرض عليه أحد الأنصار شراء مواضع في ينبع اشتراها منه وهو لم يرها بعد، ودفع فيها مبلغاً كبيراً جداً بحسب قيمة النقد في ذلك الزمن، وقد ذكرت مجملة فيما سبق، وأذكر الآن نص ما ذكره العلماء.

قال الإمام ابن شبه -وساق السند-: "عن واقد بن عبد الله الجهني[1]، عن عمّه، عن جده كُشْد بن مالك[2] (الجهني) قال: نزل طلحة بن عبيد الله[3]، وسعيدُ بن زيد[4] رضي الله عنهما عَلَيّ التجبار[5] وهو موضع بين

---

(١) واقد بن عبد الله الجهني، (لم أعثر له على ترجمة).

(٢) كُشْد بن مالك الجهني: ذكره الإمام أبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة، واختلفوا في ضبطه مرة بالشين، ومرة بالسين المهملة، ولم يذكروا له ترجمة تشفي بل لم تتعدى ترجمته عدة كلمات، فقالوا: "ذكره بعض المتأخرين" ولعلهم بذلك يريدون الإمام ابن شبه وما رواه عن الواقدي.

انظر في ترجمته (الصحابة لابن نعيم (٢٤١٥/٥) رقم (٣٥٥٧)، الإصابة (٤٧٣/٣).

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي أمه الحضرمية الصعبة بنت عبد الله الحضرمي، يكني أبا محمد، من العشرة المبشرين بالجنة، والسابقين الأولين من المهاجرين، مناقبه جمة، وكثيرة، قتل في وقعة الجمل سنة ٣٦هـ، وعمره أربع سنين سنة.

الاستيعاب لابن عبد البر: ص ٢٥٩-٣٦١، رقم (١٢٥٥).

(٤) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي، أسلم قديماً، قبل عمر بن الخطاب، شهد المشاهد كلها، هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان أبو زيد من الحنفاء في الجاهلية، توفي في المدينة المنورة في أيام معاوية سنة (٥٠هـ).

- الاستيعاب لابن عبد البر: ص ٢٦٩-٣٧١، رقم (٨٧٢).

(٥) التجبار: عرفه صاحب المتن بقوله: "هو موضع بين حَوّزه السفلي وبين منخوس". لم يذكرها =

حَورة السفلى وبين منخوس[1] على طريق التجار إلى الشام- حين بعثهما رسول الله ﷺ يترقّبان، عِير أبي سفيان[2]، فنزلا على كُشْدٍ فأجارهما، فلما أخذ رسول الله ينبع، أقطعها لكُشْدٍ، فقال: يا رسول الله، إني كبير، ولكن أقطَعْها لابن أخي، فأقطعه أياها، فابتاعها منه عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة الأنصاري بثلاثين ألف درهم، فخرج عبد الرحمن إليها، فرمد بها، وأصابه سافيها وريحها، فقذرها، وأقبل راجعاً، فلحق عليّ بن أبي طالب ﷺ بمنزل وهي بليلة دون ينبع، فقال: من أين جئت؟ فقال: من ينبع، وقد شنفتها[3]، فهل لك أن تبتاعها؟ قال علي: قد أخذتُها بالثمن، قال: هي لك، فخرج إليها علي ﷺ، فكان أول شيء عمله فيها البغيبغة، وأنفذها"[4] -كذا-.

=

السمهودي في موطنه، ولعل في بعضها تصحيفاً، وهو كذلك فقد صحف بهذه الطبعة، وكتب باسم (المنحاز) وهو تصحيف بلا شك. والتصحيح من كتاب: معجم البكري: (١/٦٥٦).

(١) منخوس: بضم أوله، وإسكان ثانيه، بعد خاء معجمة، وواو، وسين مهملة. معجم البكري: (٢/١٢٦٨).

(٢) قصة إرسال طلحة وسعيد جهة الشام، ذكرها الإمام ابن عبد البر فقال: "قال الواقدي: كان رسول الله ﷺ قد بعث قبل أن يخرج من المدينة إلى بدر، طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتحسسان الأخبار...".

- الاستيعاب: ص ٢٦٩.

(٣) في بعض الكتب: (شنئتها)، ولعلها هي الأصح من جهة اللغة، من الشنئان، وهو البغض.

(٤) تخريج النص:

- أخرجه ابن شبه في أخبار المدينة (١/١٣٦) رقم (٥٨٢)، (ط. شلتون).
- البكري في معجم ما استعجم (١/٦٥٦-٦٥٧) مع اختلاف يسير في النص.
- السمهودي في الوفاء (٤/٥٢٥-٥٢٦).
- الإصابة (٣/٢٩٤).

ومما يدل على توطن علي ينبعاً ما ذكره السمهودي حين قال: "روى أحمد بن الضحاك: أن أبا فضالة، خرج عائداً لعلي بن أبي طالب بينبع، وكان مريضاً، فقال: ما يسكنك هذا المنْزل؟ لو هلكت لم يَلِك إلا الأعراب، أعراب جهينة، فاحتمل إلى المدينة، فإن أصابك قدر، وليك أصحابك، فقال عليّ: إني لست بميت من وجعي هذا، إن رسول الله ﷺ عهد إليّ أن لا أموت حتى أضرب، ثم تخضب هذه، يعني لحيته من هذه، يعني هامته"[1].

وهذا نص صريح أصرح من سابقه في الدلالة على سكنى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بينبع واتخاذها موطناً له في بعض الأوقات في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

(١) السمهودي في الوفاء (٤/٥٢٦).